الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية

المقررات الجامعية

www.aiacademy.info | care@aiacademy.info

بسم الله الرحمن الرحيم

مادة مناهج البحث في الأدب

- **تعريف المنهج:**

كلمة منهج: مصدر بمعنى طريق ومسلك ، وهي مشتقة من الفعل "نهج" بمعنى "طرق" أو "سلك" أو " اتبع" والنهج، والمنهج، والمنهاج تعني: الطريق الواضح.

والمنهج في أبسط تعريفاته وأشملها: طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة.

- **تعريف البحث:**

البحث : مصدر الفعل الماضي بحث ، ومعناه: طلب، وفتش ، وتقصى، وتتبع، وتحرى، وسأل، وحاول، واكتشف.

أي أنّ البحث هو: الطلب، والتفتيش، والتقصي لحقيقة من الحقائق، وإذاعتها في الناس.

وفي كلمة الحقيقة ما يبين المعنى الإنساني للبحث ، ويدخل في هذا المعنى الشمول فيما يتصل بالفكر البشري وعاطفته وخياله.

- **البحث الأدبي:**

طلب الحقيقة الأدبية في مصادرها وإذاعتها.

- **منهج البحث الأدبي:**

الطريقة التي يسير عليها الباحث؛ ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات الأدب أو قضاياه، منذ العزم على الدراسة وتحديد الموضوع حتى تقديمه ثمرة علمه إلى المشرفين أو الناقدين والقراء.

وعلى الرغم من أن المنهج الأدبي يفيد من المناهج الأخرى في خطوطها ، وخصوصا منهج التاريخ، لكنه يتميز بأنه يتعامل مع مادة فنية ونص إنشائي ، على الباحث فيه أن يغوص إلى أعماقه ويقرأ ما وراء حروفه؛ فيصل خياله بخيال صاحبه وعاطفته بعاطفته.

- **الفائدة من منهج البحث الأدبي:**

أ – منهج البحث مظهر حضاري تشتد الحاجة إليه بعد الحاجة إلى الدرس والتأليف وما يصحب ذلك من تراكم الخبرات وتضخم المادة، وما يتصل بهما عادة من اضطراب وفوضى وجهل فتضيع الحقيقة، فيتدخّل الغيارى ويرسمون طريقًا يبين صواب المصيبين ويفضح خطأ المخطئين، ويسهلون أمر البحث على الناشئة والطلاب مستفيدين مما حققته البشرية في تاريخها العلمي.

ب – منهج البحث الأدبي يعلم الطلاب كيف يبدؤون وكيف ينتهون، ويوفر عليهم الوقت والجهد، ويجنبهم الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه السابقون ويعودهم الدقة ويحفظهم من الضياع والسأم والشعور بالعجز.

ج – يحبب إلى الطلاب البحث ويهيئ لهم الاستمتاع بثمرة عملهم ويعدهم لبحث أوسع وتأليف أخطر في مدى إنساني أبعد.

- **مادة البحث الأدبي:**

هي الأدب بفرعيه: الشعر والنثر وما تفرع منهما، ونعني بالأدب: الكلام الذي يقصد به إلى إثارة الانفعالات في قلوب القراء والسامعين.

- **البحث الأدبي والدراسة الأدبية:**

أ – لا بد للباحث من ثقافة واسعة كي يهتدي إلى بحث أدبي طريف.

ب – على الباحث أن يتسلح بقراءات كثيرة حتى تتكون شخصيته تكوناً أولياً.

ج – على الباحث أن يحدد لنفسه العصر الذي يعمل فيه والمكان أو الإقليم والشخوص والجوانب المختلفة المتصلة بالبحث.

د – ينبغي أن ينقب الباحث الناشئ عن جانب من جوانب النشاط الأدبي لم يعن به الدارسون من قبل ويقرأ حوله كثيرا حتى ينكشف له من جهاته انكشافا تاما.

هـ – ألا يكون موضوع البحث واسعا حتى يستطيع الباحث المبتدئ أن يلم بأطرافه وحتى تصبح له معرفة دقيقة بتفاصيله، وحتى يمكن أن يتعمق في أغواره.

و – البحث الأدبي الذي يتبع فيه صاحبه المنهج العلمي السليم يعرف من العنوان الذي يجمع بين الجدة والدقة، والتبويب وما بين الفصول والفقر من ترابط وتجانس وتناسب، والهوامش وما هي عليه من إيجاز في الدلالة على المصادر، ثم ما يصحب ذلك من فهارس وقائمة تامة من المعلومات عن المصادر والمراجع.

- **المصادر والمراجع:**

المصادر:

من الباحثين من يقول " المصادر " ويريد " المراجع " ومنهم من يقول " المراجع " ويريد " المصادر " ومنهم ـــ وهم الأكثر ـــ من يطلق لفظة و يريد إلى ما تشتمل عليه اللفظتان، ولكن يجب التفريق بينهما، فأما المصادر: فهي الكتب القديمة التي يعود إليها الباحث ليأخذ منها مادته الخام وهي وحدها الجديرة باسم المصادر . ومن المصادر ما يرقى تأليفه إلى عصر الموضوع الذي يكتب فيه ومنها ما يعود لعصور تالية له.

ولا بد أن يأتي في طليعة المصادر النصوص الإنشائية من شعر ونثر فني التي أنتجها الأديب الذي يدرسه الباحث إن كان يدرس أديبا ، والمادة التي أنتجها الأدباء الذين يكونون المادة الأولى لبحث الباحث إن كان عصرا أو تيارا أو غرضا أو ظاهرة أدبية.

ومنها كل المؤلفات الأخرى التي خلفها ذلك الأديب أو أولئك الأدباء.

أما المراجع فهي:

هذه المؤلفات الحديثة التي كتبها مؤلفون معاصرون لنا أو من أبناء العصر الحديث في موضوعات مختلفة. ومن هنا حسن تمييزها عن المصادر فسميت " المراجع ".

وسميت مراجع لأنها ألفت لعامة القراء لتكون أقرب شيء يرجعو ن إليه للعلم بشيء أو بعدة أشياء، والمفروض في أصحابها أنهم اعتمدوا المصادر لدى جمع مادتهم وتأليفها.

وخلاصة القول أن المراجع ألفت للقراء أولا، أما المصادر فهي للمؤلفين أولا.

إنّ المراجع لعامّة طالبي المعرفة، أما المتخصصون فيذهبون إلى ما هو أبعد منها إلى المصادر.

- **من أشهر المراجع العامة:**

- تاريخ الأدب العربي، تأليف: كارل بروكلمان.
- تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف: جرجي زيدان.
- تاريخ الأدب العربي، تأليف: شوقي ضيف.
- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي.
- معجم المؤلفين، تأليف: رضا كحالة.
- مصادر الدراسة الأدبية، تأليف: يوسف أسعد داغر.
- تاريخ الأدب العربي، تأليف: عمر فروخ.
- تاريخ التراث العربي، تأليف: فؤاد سزكين.

- **ومن أهم المصادر:**

- طبقات فحول الشعراء، تأليف: ابن سلام الجمحي.
- الشعر والشعراء، تأليف: ابن قتيبة.
- الأغاني، تأليف: أبو الفرج الأصفهاني.
- الأمالي، تأليف: أبو علي القاليّ.
- يتيمة الدهر، تأليف: الثعالبي.
- خريدة القصر، تأليف: العماد الأصبهاني.
- الذخيرة، تأليف: ابن بسام.
- نفح الطيب، تأليف: المقري.
- معجم الأدباء، تأليف: ياقوت الحموي.
- وفيات الأعيان، تأليف: ابن خلكان.

إلى غير ذلك من كتب لا بد من معرفتها في بابها من اللغة والتاريخ والجغرافية والفقه والحديث والتفسير ... إلخ.

وعادة يدرس الطالب في المصادر: تاريخ تأليف المصدر، وأهم موضوعاته واتجاهاته، ونظامه وتبويبه ... وما إلى ذلك من أمور عامة يحسن أن يعرفها الباحث والقارئ عن أي مؤ لف لأن دراسة المصادر تنفع كثيرا، ومن الباحثين من يستهين بها فتفوته أشياء كثيرة.

- **تحقيق النصوص الأدبية:**

المخطوطات هي مصادر الكتب الحديثة ، ومنابعها الغزيرة ، وهي أ صل العلوم الحديثة ، ومعروف أنه لم يكن للعرب قبل الإسلام كتاب مدون ، وأن القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ، أول كتاب دونه العرب ، وقد دونه أبو بكر الصديق في مصحف واحد ، ثم دونه عثمان بن عفان في مصحفه المشهور ، وأرسل منه نسخا إلى الأمصار ، غير أن تلاوته ظلت الأساس في تداوله منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليوم يأخذها جيل عن جيل بالسند المتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، سند لا يرقى إليه شك في حرف أو حركة.

ثم دون بعد ذلك الحديث الشريف بعد عمل ضخم من التوثيق العلمي الذي أخذ يحوط رواية الحديث بسياج متين من الصحة والدقة، وقد رافقه تحقيق واسع في صحة رواية النّص.

وقد ظلت الأخبار والأشعار العربية تروى شفاها حتى إذا كان العصر العباسي أخذت تنشأ طبقات متتالية من الرواة الذين يقومون بتدوينهما ، وقد نشأت حركة واسعة من التوثيق لرواية الأشعار والأخبار كما نشأت حركة واسعة من تحقيق النصوص والتعرف على ما حدث في أمهاتها من زيادة ونقص وحدث تحقيق مهم في الأشعار هو ضبطها وشرحها وقد عددوا الشروح مثل الشرح التاريخي واللغوي ، وقد نهض رواة الشعر وعلماؤه بتحقي ق واسع في نسبته إلى أصحابه ، فتارة يراجعون دواوينه وتارة يعرضونه على الأحداث أو التاريخ وأعلامه ليتبينوا صحيحه من زائفه ، وسليمه من سقيمه ، وقاموا بم راجعات كثيرة لألفاظه ليوضحوا ما دخل أحيانا من تصحيف وتحريف .

وقد أفاد علماء الشعر كثيرا من القواعد السديدة التي وضعها المحدثون للتوثق من صحة الحديث النبوي الشريف ودقة روايته ورواية مصنفاته ،وقد طبقوا هذه القواعد تطبيقا واسعا حتى ينفوا عنه الزيف والمنحول ، وقد بدأوا ذلك بتمييز الرواة المتهمين من الموثقين والنص دائما على الوضاعين من أمثال حماد الراوية ، وخلف الأحمر ، وكانا ينحلان شعر الشاعر غيره ويزيدان في الأشعار.

وكان كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي أهم كتاب لما وثقه رواة البصرة من نصوص الشعر القديم.

وكان ابن سلام وغيره من رواة الشعر الموثقين يفحصون ما تضيفه القبائل إلى شعرائها من أشعار ، ويرفضون ما يثبت عندهم زيفه كما كانوا يرفضون رواية الرواة الوضاعين ممن يحسنون صوغ الشعر وينسبونه إلى القدماء ويرفضون ما يحمله رواة السير والأخبار من أشعار غثة سقيمة أضافوها إلى الأمم البائدة في غير احتراس ولا احتياط.

مناهج البحث في الأدب العربي القديم

- **منهج التوثيق والرواية:**

١ عني القدماء عناية واسعة بتوثيق دواوين الشعر القديم ، وكانوا ينصون على ما زاد في بعض الروايات ، كما كانوا ينصون أحيانا على أوثقها ، فنرى مثلا أن ابن النديم ينص في كتابه " الفهرست " على ان المفضليات للمفضل الضبي تحتوي على مئة وثمان وعشرين قصيدة ، وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عن المفضل والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي ، وكان تلميذه وكان علما من الأعلام الثقات في اللغة ورواية الشعر.

وابن النديم يريد أن يلفت انتباهنا إلى أن رواية ابن الأعرابي من أعلى الروايات وأوثقها

٢ ويلقانا في بعض الدواوين الشعرية القديمة أنها من صنعة هذا العالم اللغوي الكبير أو ذاك ، وكانوا يعنون بذلك أنه راجع الروايات المختلفة للديوان وقابل بينها وأخرجه معتمدا على أوثقها وأضبطها في رأيه مثل ديوان ذ ي الرمة الذي اعتمد في توثيقه على روايتين

٣ وكثيرا ما كانوا يكتبون سند الرواة على الصفحة الأولى من الديوان ودائما تتقدم النسخة المسندة غيرها من النسخ حتى في الرواية الواحدة.

مثال ذلك ديوان جرير الذي رواه ابن حبيب عن ابن الأعرابي وعمارة حفيد جرير ويعد هذا توثيقا قويا لنسخة الديوان.

- **منهج التتبع والاستقصاء:**

١ لا يراد بالاستقصاء جمع الحقائق المفيدة وغير المفيدة فدائما لا بد من الانتخاب والاختيار والانتقاء ، ولا بد أيضا من الاستقصاء الدقيق والإحاطة التامة بكل

الحقائق المتصلة بالبحث الأدبي ونصوصه الجزئية حتى يمكن الوصول إلى الحقائق والصفات الكلية.

ولذلك كان على الباحث في الأدب أن يبدأ بجمع الأمثلة والنصوص ويصنفها حسب الموضوعات التي يتناولها في بحثه المعين.

٢ تبدأ البحوث الأدبية بالجزئيات وتنتقل منها إلى الكليات ، تبدأمثلا من قصيدة وتقرن إليها قصائد أخرى في عصر معين لتستخلص ما تشترك فيه من خصائص أو ظواهر معينة.

وقد تبدأ من أبيات مفردة في قصيدة لتصل إلى خصيصة أو ظاهرة تقيد بها.

٣ الاستقصاء عماد البحث الأدبي وقوامه ومن هنا يجب على الباحث الذي يكتب بحثا عن عصر بعينه أن يقرأ أكثر النصوص التي نظمت في هذا العصر.

وكذلك الذي يكتب عن شاعر معين عليه أن يقرأ القصائد كلها التي نظمها ذلك الشاعر حتى يصل إلى أحكام دقيقة.

٤ كثيرا ما يبدل الاستقراء والاستقصاء حكما خاطئا شاع بين الباحثين مثل قول المستشرقين إن الشعر في صدر الإسلام ظل بصورته الجاهلية إلا بعض آثار طفيفة ظهرت عند حسان ومواطنيه من شعراء المدينة ، وهو رأي خاطئ لأن الإسلام غير كثيرا من نظرة الشعراء إلى الكون والحياة ، وقد ظهر هذا واضحا في شعر الشعراء الذين عاشوا في العصر الإسلامي.

٥ يجب الاسقصاء الكامل لنصوص العصر الذي يدرس حتى تكون الأحكام صحيحة وكذلك الاستقصاء الكامل لشعر الشاعر وعلى الخصوص عند الحديث عن عقيدة الشاعر ونفسيته.

٦ البحث الأدبي في حقيقته استقراء واستقصاء للنصوص وإحاطة بها من جميع أطرافها ، وهو استنباط واشتقاق من النصوص للخصائص والصفات مع بيان العلل الباطنة ولا بد مع كل استنباط من نصوص يستخرج منها أما إذا لم يقترن الاستنباط بالنصوص فيكون حينئذ فرضا ، والنصوص الأدبية لا تتعامل مع فروض.

٧ قلة الاستنباطات تؤذي البحوث والدراسات الأدبية إذ يحس القارئ أنه أمام باحث لا يتعمق ما يبحثه.

- **المنهج التحليلي:**

١ - هو تحليل الأثر الأدبي تحليلا يوضح عناصر جماله وتأثيره في النفوس ، وإذا كان التذوق هو الأساس الذي يقوم عليه البحث الأدبي فإن التحليل هو البناء كله . وكل ظاهرة وكل قصيدة وكل عمل أدبي وكل أديب ينبغي أن يحلل إلى العناصر التي يتكون منها.

٢ - يجب تحليل العناصر التي تجمع من حياة الشاعر وآثاره ومن بيئته وعصره ، لأن الشاعر ثمرة ظروف كثيرة متشابكة منها ما يرجع إلى مجتمعه ومنها ما يرجع إلى ظروف أسرته الاقتصادية والاجتماعية.

٣ - يجب أن تحلل المؤثرات التي تعاونت على تكوين غرض معين عند الشاعر و الكاتب والأخرى التي طبعت إنتاجه وآثاره بطوابع معينة.

٤ - يجب تحليل اتجاهات الشعراء الجديدة الفردية والجماعية وتوضيح الآثار الأجنبية فيها.

٥ - يجب ملاحظة ما قد يكون أصاب الأديب من أمراض لأن ذلك قد يكون له أثر بعيد في تحليل بعض الاتجاهات عنده أو بعض الظواهر.

٦ - يجب تحليل جميع خواص الأدباء وتميز ظواهرها في كتاباتهم تمييزا دقيقا.

مناهج البحث الأدبي الحديثة:

ليس للبحث الأدبي منهج يلتزم به النقاد ، وإنما ه ي مناهج عديدة ووجهات نظر مختلفة ، وكل واحد منها متفاوت عن غيره في النظر إلى النص وفيما يأتي تعريف بالم شهور من هذه المناهج لدى النقاد، وهي:

- **المنهج الاجتماعي.**
- **المنهج الفني.**
- **المنهج التاريخي.**
- **المنهج المتكامل.**

- **المنهج الاجتماعي:**

١ - يهتم هذا المنهج بدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع ، وهذه الدراسة قديمة إذ نجدها عند أرسطو وأفلاطون ، و لم يرض بعض الدارسين المحدثين بالآراء التي قال بها أفلاطون بالنسبة إلى الشعر.

٢ - أقام المفكر الإيطالي " فيكو " أول محاولة منظمة للربط بين أشكال التعبير الأدبي وطبيعة الواقع الاجتماعي وذلك في كتابه " مبادئ العلم الجديد. "

٣ - ثم جاءت بعده " مدام دي شتال " وألفت كتابها " تناغم الأدب مع المؤسسات الاجتماعية " واستعانت بآراء بعض الفلاسفة التي ترى أن الأعمال الأدبية تتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية حيث تؤدي وظائف محددة بها.

٤ - يعد " تين " المؤسس الأول لعلم اجتماع الأدب حيث طور نظرية علمية كاملة للأدب وأخضع الأدب لثلاثة أمور هي : الجنس والزمان والمكان.

٥ - وقف بعض النقاد إزاء انعكاس الحياة الاجتماعية في الأدب والفن موقفا معارضا وعنيدا ورأوا أن زمن الأدب الذ ي يرتكز على عكس المتغيرات الاجتماعية والنفسية قد ولَى ، ورأى بعضهم أن الرواية الاجتماعية والنفسية فقدت حيويتها وقدرتها على الصمود في مواجهة الزمن.

٦ - يرى المناصرون لهذا الاتجاه أن على الفن وعلى الخصوص الفن الواقعي تقع مسؤولية كبيرة في أن يصبح العالم أكثر إشراقا وأعظم معرفة وجمالا وأن يميز بين الخير والشر وينتصر للخير.

٧ - ويرون كذلك أننا في حاجة ماسة لدراسة جميع جوانب المجتمع التاريخية والسباسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعمل الفنان في ظلها.

٨ - ويرى بعضهم أننا يجب أن نتعامل مع الأدب بوصفه نظاما اجتماعيا ، وأن هناك علاقة كبيرة بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي من حيث التأثر والتأثير.

٩ - هذا المنهج الاجتماعي متمم للمناهج الأخرى وليس بديلا لها ، وهو يعين على منهج نقدي أدبي متكامل.

١٠ – اتجه هذا المنهج في الأغلب إلى دراسة الأعمال الروائية ، وهو يركز على محتوى الأعمال وقد لا يتعمق في دراسة العلاقات اللغوية المكونة للعمل الأدبي.

١١ – من أهم الكتب التي درست الشعر العربي القديم حسب هذا المنهج:

أ- مقالات في الشعر الجاهلي / يوسف اليوسف.

ب- بحوث في المعلقات / يوسف اليوسف.

ج- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي / حسين مروة.

د- مدخل إلى الأدب الجاهلي / إلياس سركيس.

هـ- استشراف الشعر / بحث لصبري حافظ منشور في مجلة فصول.

- المنهج الفني.

٢ـ المنهج الفني

هو منهج يقوم على أسس فنية تعد قواعد وأصولا له ٠

وأهداف هذا المنهج على وجه الاجمال هي :

١ ـ تمييز الجنس الأدبى عن غيره من الأجناس ، كالقصيدة أو القصة أو الرواية أو المسرحية أو المقالة أو الرسالة أو البحث أو ترجمة الحياة ، بحيث يوضح لنا خصائص هذا الجنس ومدى ما توفر لـه من هـذه الخصـائص ٠

٢ ـ توضيح القيم الشعورية والقيم التعبيرية في النص وبيـان مدى انطباقها على الأصول الفنية لهذا النص الأدبي ٠

٣ ـ تلخيص خصائص الأديب نفسه من الناحية الفنية أى التعبيرية والشعورية من خلال دراسة هذا النص وتحليله ومواجهته بهذه القواعد والأصول الفنية ٠

ويرتكز هذا المنهج على ركيزتين أساسيتين هما :

(أ) التأثر الذاتى من الناقد المحلل للنص ، فهو من هذا الجانب يعد منهجـا ذاتيـا ٠

(ب) العناصر الموضـوعية والأصـول الفنية في النص ، فهو من هذا الجانب يعد منهجـا موضـوعيا ٠

ولأن هاتين الركيزتين ضروريتان فيه ، فهو لذلك منهج ذاتي موضوعي في آن واحد ، ومن هنا كان هـذا المنهج أقرب المنـاهج الى طبيعة الأدب من جانب ، والى طبيعة الفن من جانب آخر ، وهو أحرى المناهج بالقبول لدى دارسي الأدب وناقديه ٠

وهذه الركيزة المعتمدة على التأثر الذاتى للناقد ، تتطلب من الناقد صفات كثيرة تحدثنا عنها بالتفصيل ، ونحن نتحدث عن صفات الناقد الأدبي ، ونجملها هنا في كلمات نقول فيها :

ان الناقد لابد أن تتوفر فيه صفات تعود الى الموهبة والفطرة من تنبه الـذهن والعمق في النـظر وسرعـة الاستجابة الى أثر النص الأدبي والقدرة على رؤية الأمور كما هي في الواقع والنزعة الانسانية في النقد الى جانب رصيد من الذوق الفني ، ولابد في الناقد كذلك من صفات تعود الى الدراسة والاطلاع والثقافة بمعنييها المعروفين لـدى العلماء ، مع رصيد من التجارب والممارسات الفنية للنقد فضـلا عن الاحاطة بعلوم اللغـة وأدبهـا ٠

وأما الركيزة الثـانية وهي العناصر الموضوعية ، فتتطلب في الناقد صفات أخرى مثل سعة الأفق ورحابة الصـدر التي تمكنه من التملي والتأمل الطويل للتجارب الشعورية الأخرى حتى ولو تصادمت مع مذهـبه هو ، فضـلا عن رصيد كبير من الخبرة اللغوية والفنية ، والمرونة في تقبل كل جديد من الأنماط الأدبية ٠

هذه صورة مجمـلة عن المنهج الفنى ، نعقبها بحـديث أكثر تفصيلا عنه ، فنقول وبالله التوفيق ٠

أما تفصيل الحديث عن المنهج فيتطلب منا أن نتحدث فيه عن النقاط الأربعة التالية :

أولا :

يجب أن نواجه النص الأدبي الذى نريد نقده وتعليله وتقويمه بالقواعد والأصـول الفنية المقررة في علوم اللغة وعلوم البـلاغة ، لنتعرف من خلال هذه المواجهة على أمرين ضروريين :

الأول منهما : هو جنس هذا النص الأدبى شعر أو نثر ، ثم نوع هـذا الشعر من بين فنون الشـعر المعروفـة كالمـدح والفخر والهجاء والوصف والغزل والرثاء وغيرها ٠

ثم نوع هذا الجنس النثرى من بين فنون النثر المعروفة كالرسالة والمقامة والمقالة والقصة وغيرها ٠

والثانى : معرفة مدى ما توفر لكل نوع من هذه الأنواع من هذه الأنواع من الخصائص المقررة له لدى العلماء ، اذ قد تعارف العلماء على أن كل نوع من تلك الأنواع له ما يميزه عن سواه ٠

ففى فنون الشعر تعارفوا على خصائص يتميز بها كل فن عن غيره ، واكمالا للفائدة نرى أن نذكر طرفا من هذه الخصائص ٠

فن المدح :

تعارفوا على أنه يجب أن تتوفر فيه خصائصه التى تميزه عن غيره وعدوا من هذه الخصائص :

١ ـ جزالة اللفظ وحسن انتقائه بحيث يبعد عن السوقية والابتذال ٠

٢ ـ استحضار المناقب والفضائل ، وخصوصا ما كان نفسيا منها ٠

٣ ـ اختيار المعانى الواضحة ، والابتعاد عن الغامض منها أو المجهول ٠

٤ ـ ملاءمة المدح للمدوح ٠

٥ ـ المبالغة دون خروج عن المنطق ٠

٦ ـ الابتعاد عن النفاق والملق ٠

هكذا تعارف العلماء على تلك الخصائص ليكون فن المدح على الصورة المثلى المطابقة لتلك المقاييس ٠

غير أن الاسلام كان له موقف معين من المدح لا نزال مطالبين به عندما نمدح ٠

فالاسلام لا يجيز أن يمدح الرجل في وجهه ، لما يؤدى اليه ذلك من اعانة الشيطان على الممدوح ، أما مدح الرجل بعد موته أو الاشادة بأعماله الصالحة من غير مراءاة له ، وبحيث يكون المادح مقتنعا بأنها أعمال صالحة ، فذلك مما لا بأس به ان خلصت النية فيه ولم يكن ذلك في مواجهته ٠

وفن الفخر : كما يرى العلماء بالشعر هو مدح ولكنه مدح الشخص لنفسه فكل ما ذكروه من خصائص للمدح هى بعينها خصائص للفخر ٠

وليس لمسلم أن يفخر على أخيه المسلم ولا أن يزكى نفسه ، وانما يحسن الفخر اذا كان فخرا بالايمان والاسلام والعمل الصالح للأسلاف الصالحين ، أو كان في مواجهة الأعداء أو الرد عليهم ، أو في مجال الدفاع عن الحق والعاملين من أجله ٠

وفن الهجاء : ذكر له علماء الشعر ونقاده خصائص منها :

١ ــ استحضار الرذائل النفسية والخلقية لوصف المهجو بها ٠

٢ ــ الابتعاد عن الافحاش في الكلام ٠

٣ ــ اختيار الألفاظ البعيدة عن فطنة المدح والتشريف ٠

٤ ــ التزام الصدق في وصف المهجو ٠

٥ ــ استحسنوا أن تكون القصيدة الهجائية قليلة عدد الأبيات ٠

وغير خاف على مسلم يعرف دينه أن الاسلام لايبيح أن يهجو المسلم أخاه المسلم بحال ، لكن لا بأس أن يهجى أعداء الاسلام وأن توضح للناس انحرافاتهم عن الحق وضلالهم واتباعهم الباطل ٠

وفن الوصف : اصطلحوا له على خصائص تميزه وتجعله عند نقاد الشعر أحسن ما يكون ، ومن هذه الخصائص :

١ ـ الدقة في حكاية الموصوف ، حتى ليكاد يمثله للسامع عيانا ٠

٢ ـ تصوير مشاعر الواصف نحو الموصوف ، حتى لا يأتى الوصف باردا أشبه ما يكون بنقل الواقع دون تدخل من حس الشاعر وذوقه ٠

٣ ـ الاهتمام باظهار أوضح ما في الموصوف من صفات ٠

٤ ـ الاهتمام بابراز أولى الصفات بالموصوف ٠

٥ ـ اختيار الألفاظ القادرة على تصوير هذه الصفات وتوضيحها في الموصوف ٠

وفن الغزل : تعارفوا له على خصائص منها :

١ ـ وضوح المعنى وعذوبته ٠

٢ ـ رقة اللفظ وسهولته على اللسان ٠

٣ ـ تجنب الألفاظ الخشنة والعبارات التى لا تلائم الموقف ٠

٤ ـ البعد عن الافحاش والتدنى في اللفظ أو في المعنى ٠

٥ ـ التعبير عن الاحساس الصادق ٠

كما يرى بعض النقاد أن من خصائص الغزل الجيد أن يتضح فيه التهالك في الحب والصبابة ٠

ولا حاجة بنا الى أن نوضح موقف الاسلام من الغزل فهو معروف لا يبيح لمسلم أن يصف محاسن أجنبية ، كما لا يرضى له أن يضعف أمام الحب والصبابة ، فضلا عما في اشاعة هذا الفن من القول من تميع في الأخلاق وصرف للناس عن الحق الى الباطل واللهو ٠

وفن الرثاء : تعارف النقاد على خصائص له من أهمها :

١ ـ بكاء الميت واظهار اللوعة على فقـده ٠

٢ ـ الاشادة بفضائل الميت النفسية ومناقبه ٠

٣ ـ الحـذر من الجمع بين الرثـاء وأى أمر يفهم منه ما يدل عـلى فـرح ٠

٤ ـ تخير الألفاظ الموجعـة المفجعـة القـادرة عـلى أن توحى بالحزن والألم على فقد المرثى ٠

كذلك تحدث النقاد عن خصائص تميز فنونا أخرى من الشعر كفن العتاب وفن الاعتذار وفن الحماسة ، وفن الحـكمة وغيرها من الفنون مما لا نحب أن نفيض في الحديث فيه ، لأن مجاله كتب النقد هـذا بالنسبة لفنون الشـعر ، وكـذلك الأمر بالنسبة لفنون النثر فالأصل أن نتعرف على خصائصها بعد عرضها على الأصول والقواعد الفنية للمنهج الفنى ، وكما تعارف النقاد على خصائص لفنون الشعر كذلك تعارفوا على خصائص تميز أنواع النثر وفنونه ٠

ومن فنون النثر : الرسالة ، سواء أكانت عامة « سلطانية » أو خاصة اخوانية ، وعلى الرغم من أن الرسالة السلطانية انكمشت عمـا كانت عليه من قبل فان النقاد وضـعوا لها خصـائص ورسموا لهـا حـدودا وأبعـادا ٠

أما الرسالة الاخوانية فانهـا لا تزال شائعـة ذائعة في عصرنا هذا ، وقد أولاها النقاد عناية شديدة وتحدثوا في خصائصها أحاديث ضافية ، وقسموها الى أنواع عديدة أوصلها القلقشندى الى سبع عشرة رسالة هى : التهانى والتعازى ، والتهادى ، والشفاعات ، والتشوق ، والاستزارة ، واختطـاب الود ، وخطبـة النسـاء ، والاستعطاف ، والاعتذار ، والشكوى ، واستماحة الحوائج ، والشـكر ، والعتاب ،

والسؤال عن حال المريض ، والأخبار ، والمداعبة ، ثم قال القلقشندى بعد هذا الحصر : ... وبعض هذه الألوان يندرج تحته أضرب كثيرة.

فالتهانى يندرج تحتها أحد عشر ضربا ، منها : التهنئة بالولايات ، وبالقدوم من الحج ، أو السفر ، وبالمواسم ، والأعياد ، وبالزواج ، وبالأولاد ، وبابلال من المرض ، وغير ذلك .

والتعازى على أضرب منها : التعزية بالابن ، وبالبنت ، وبالأب، وبالأم ، وبالأخ ، وبالزوجة ، الى ما يشبه ذلك من ألوان التعازى .

وتحدث القلقشندى عن الأضرب التى يتفرع عنها كل نوع ، فجعل للتعازى سبعة أضرب ..(١)

ومن فن الرسالة : الرسالة الأدبية ـ وهى تشبه المقالة في عصرنا هذا ـ وسيد هذا الفن وأبو بجدته الجاحظ .

وقد تحدث النقاد عن خصائص هذه الأنواع في شكلها ومضمونها وألفاظها مما لا نجد مجالا هنا لذكره .

ومن فنون النثر : المقامة ، وهى أحدوثة من الكلام تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الناس لسماعها(٢) .

« وأول من فتح باب عمل المقامات علامة الدهر وامام الأدب البديع الهمذانى ، فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة اليه ، وهى في غاية من البلاغة وعلو الرتبة في الصفة ، ثم تلاه الامام أبو محمد القاسم الحريرى فعمل مقاماته الخمسين المشهورة فجاءت نهاية في

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الانشا : ٥/٩ الى ٢٢٥ بتوسع وذكر نماذج عديدة لكل نوع ولكل ضرب .

(٢) السابق : ١٤/١١٠ .

الحسن ، وأتت على الجزء الوافر من الحظ وأقبل عليها الخاص والعام حتى أنست مقامات البديع وصيرتها كالمرفوضة »(١) ٠

وللمقامات صفات لألفاظها وسمات لمعانيها وأفكارها ، وعلامات تميز راويها وبطلها وأحداثها ٠

ومن فنون النثر : المفاخرات والحوادث الجارية وهى مقالات تتناول هذا وذاك ولألفاظها ومعانيها صفات تميزها عن سواها ٠

ومن فنونه : رسائل الصيد وهى تصف الصيد وأدواته وتصف الصائد وعاداته ، وتفيض في اصطلاح الرماة وشروطهم ٠

ومن فنون النثر : الاجازات العلمية ، وتقريظ الكتب ، ومقدماتها ، وتهذيب الناشئة وأنواع كثيرة من الهزل والمضاحيك ٠

ومن فنونه : القصة والأقصوصة والخرافة والحكم والأمثال ٠

ومن فنونه المستحدثة : الحديث الاذاعى والمقال الصحفى ٠

وكل فن من هذه الفنون لها في عرف النقاد ومصطلحاتهم خصائص تميزها عن سائر فنون النثر ٠

وعلى الناقد وهو يواجه الأثر الأدبى بقواعد المنهج الفنى وأصوله أن يتعرف على جنس هذا الأثر ونوعه وخصائص هذا النوع٠

تلك هى الخطوة الأولى من خطوات اخضاع الأثر الادبى لقواعد المنهج الفنى في تحليل النص وتعليله وتقويمه ونقد ٠

---

(١) السابق ١٤/١١٠ ٠

ثانيـــا :

أن ينظر النـــاقد للنص الأدبى من أجل تحليله ونقده ، ينظر اليه نظرة تعتمد على التأثر الذاتى من جانب وعلى القواعد الموضوعية من جانب ثان ، بحيث لا يكتفى بجانب عن الآخر ، حتى يكون نقده وتحليله مؤديا الى اصدار الأحكام الصائبة في نهاية الأمر ٠

والنظرة الذاتية للنص تعنى ألا يتجرد النـــاقد من احساســه الذاتى وذوقه الشخص ، غير أنه من الضرورى للناقد ـ لكيلا يطغى الجانب الذاتى فيه على غـــيره من العناصر الموضوعية في النص ـ أن يكون ذا موهبة واستعداد فنى للقيام بهذا العمل ، وأن يكون ذا تجارب وممارسات شعورية ذاتية ، وأن يكون ـ قبل الخوض في هذا المجال ـ قد اطلع اطلاعا واسعا على نماذج أدبية وعلى نماذج نقدية ـ كمـــا أسلفنا ونحن نتحدث عن صفات الناقد الأدبى ٠

والنظرة الموضوعية للنص تعنى أن يكون الناقد ملما بالقواعد والأصول الفنية التى قررتها علوم اللغة وبخاصة علوم البلاغة والتى يجب أن تتوفر في الأنموذج الادبى بعامة ، وفي نوع هذه النماذج من الشعر والنثر بصفة خاصة ، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سلف كذلك ـ ونحن نتحدث عن صفات الناقد الأدبى ٠

ثالثـــا :

أن يوضح الناقد القيم الشعورية في النص ٠

والقيم الشعورية في كل انتاج أدبى عالم مترامى الأرجاء بعيد الأمداء قل بل ندر أن يتشابه فيه أديبان في شىء ، ومن المستحيل أن يتشابه فيه أديبان في كل شىء ، اذ من المقرر الدال على عظمة خلق الله للناس أن كل انســـان عالم بأسره يختلف كثـــيرا عن الانســـان الآخر وبخاصة في أحاسيسه ومشاعره ونظرته الى الكون والحياة ، ومن تباين الناس في أحاسيسهم ومشاعرهم ، وتميز الأدباء عن غيرهم من الناس

في رقة هذه المشاعر وشفافية هـذه الأحاسيس ، يصبح النقـد لتلك الفنون الشعرية أو النثرية فرصة رائعة تطلع الانسان على تصورات الأدبـاء للكون والحيـاة ، وهو في الوقت نفسه عمـل يشوق النـاقد والقارىء آن يتعرف على أبعاده وأغواره ومنطلقاته ٠

ومن أجل ضبط القيم الشعورية التى يبحث عنها الناقد في الأثر الأدبى فان علينا أن نحصى الى الحد المستطاع تلك الأمور التى يجب أن يقف عليهـا النـاقد وهو يتعرف على القيم الشـعورية في النص الأدبى ٠

وقد اصطلح النقاد على أن أبرز هذه الأمور ثلاثة :

أولها : التعرف على الطابع الخاص الذى يميز صـاحب النص الأدبى عن سواه من الأدباء ٠

ثانيها : التعرف على قدرة الأديب على أن ينظر الى الكون والحياة نظرة عامة شاملة ، يتجاوز بهـا الجزئيات الصـغيرة المحلية والآنية الى الكليات الكونية الضاربة في التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله ٠

ثالثها : التعرف على الصدق الفنى لدى الأديب من خلال نصه الأدبى أى صدق التأثر بالموقف وصدق التأثير في القارىء أو السامع ٠

اذا استطاع الناقد أن يتعرف على هذه الأمور الثـلاثة ، فقد له من الاختلاف ، والناقد يرصد هذا الطابع وذاك ، ولا يفتأ يرصد تعرف من خلالها على القيم الشعورية للأديب ٠

ولنفصل القول في هذه الأمور الثـلاثة على النحو الذى نتصور معه أنها قد اتضحت وأمكن البحث عنها من خلال النص الأدبى ٠

أما الطابع الخاص الذى يميز الأديب عن سواه ، فهو أول سمة يبحث عنها الناقد في اديب من الأدباء ، اذ هذه السمة دليـل أصـالة الأديب ودليل قدرته على أن يصوغ كل عمل أدبى بأسـلوبه الخـاص وطابعـه الشخصى ، وسواء أكان الفن الأدبى الذى يتنـاوله الأديب

شعرا أو قصة أو مقالة أو أى نوع من أنواع النثر أو الشعر ، فانه قادر على أن يطبعه بطابعه الشخصى بحيث يدرك القارىء ـ فضلا عن الناقد ـ أن هذا الطابع خاص بذاك الأديب ، وأن تلك السمات هى سماته ·

وليس هذا الطابع الشعورى طريقة احساس فقط ، ولكنه طريقة احساس وطريقة تعبير وطريقة سير في الموضوع وأسلوب تناول للحياة من خلال رؤية خاصة ·

وهذا الطابع الخاص يمكن أن نقسمه الى أقسام ثلاثة :

أحدها : شعورى ·

وثانيها : لفظى ·

وثالثها : تخيلى ·

فالطابع الشعورى لأديب من الأدباء يمكن أن نلمسه في طريقه احساسه بالحياة وطريقة تجاوبه مع الأحياء ، فهذا تسيطر عليه روح التشاؤم والثانى نلمس في مشاعره روح التفاؤل ، والثالث يتميز بحب الصراع مع الناس والأشياء والرابع ندرك منه أنه متجاوب متكيف مع الناس والحياة ، والخامس متهالك متهافت على ملذات الحياة والسادس متعال متأب على سفاسف الأمور ، وهكذا الى غير نهاية تتباين مشاعر الناس ويختلف الطابع الشعورى من فرد الى آخر الى مالا نهاية له من الاختلاف والناقد يرصد هذا الطابع وذاك ، ولا يفتأ يرصد ويتعرف ، ويتعمق النظر الى هذه الآثار الأدبية يستنبتها عن مشاعر أصحابها ، في عمل تحليلى تفسيرى ممتع للناقد المخلص لعمله أولا ، ممتع للقارىء الحريص على أن يستزيد من المعرفة ثانيا ·

ويستطيع الناقد البصير أن يتعرف من خلال هذا الطابع الشعورى لأديب من الأدباء أن يدرك مدى الاصالة في هذا الطابع أو

مدى تقليده للآخرين في احساسه ومشاعره ، والفرق بين الأصالة والتقليد فرق دقيق لا يدركه الا كبار النقاد ، اذ العناصر المشتركة بين الناس غير قليلة كذلك ٠

وعن طريق القيم الشعورية عند أديب من الأدباء وتبين مدى الأصالة في عمله اذا كان موهوبا ، نستطيع أن نقف على أسلوب راشد من أساليب توجيه الحياة والبشر ، يؤتاه ذلك الأديب بما عنده من قدرة على سبق خطوات الناس وانارة الطريق أمام جموعهم ، ومن هنا ندرك قيمة العمل الأدبى في الريادة والتوجيه ٠

والطابع اللفظى يبدو في العبارات والجمل بل في الكلمات التى يؤثرها الأديب على سواها ويعطيها من حسه وشعوره ألوانا خاصة به ، حتى ان بعض كبار الأدباء أصبح لطابعهم اللفظى ما يميزهم عن سواهم من الأدباء ، فنحن نقرأ بعد مئات السنين فنحس بطابعهم الشخصى في ألفاظهم التى يؤثرون وعباراتهم التى يختارون ٠

ولقد عرفنا هذا الطابع اللفظى عند كاتب كالجاحظ ، وكاتب ثان كابن المقفع وثالث كالقاضى الفاضل ، بحيث لو خلطت مقالات أو رسائل لهؤلاء الثلاثة ثم عرضت هذه المقالات على العارفين من الناقدين لأمكن أن يعرفوا أن هذا الكلام يتميز بطابع لفظى مأثور عن الجاحظ وأن هذا الكلام طابعه اللفظى ينتمى الى ابن المقفع ، وأن هذا الثالث ينتسب طابعه اللفظى الى القاضى الفاضل ٠٠٠ وهكذا ٠٠٠

وكذلك الأمر عند كبار الشعراء ، فهناك طابع لفظى يتميز به البحترى وآخر يعرف به أبو تمام وثالث لابن الرومى ورابع لأبى نواس ، وخامس للمتنبى ، وسادس للمعرى ٠٠٠ وهكذا ٠٠٠

ومن المسلم به لدى النقاد أن تميز أديب من الأدباء بطابع خاص في ألفاظه وعباراته يعرف به هو نمط من الأصالة ولون من القدرة الفنية لا تتوفر الا عند كبار الأدباء ، ووظيفة الناقد في جانب من جوانبها هى أن يكشف عن هذه الأصالة وتلك القدرة ٠

والطابع التخيلى لأديب من الأدبـاء هو جزء من ذلك الطـابع الخاص له ، فاذا كان له طابع شعورى يميزه عن سواه وطابع لفظى كذلك ، فان من كمال تفرده بطابع خاص أن يكون له طابعه التخيلى الخاص به كذلك ٠

ومادام الأديب يعبر عن تجاربه ومشاعره وعواطفـه بالصـور الأدبية والأخيلة وغيرها من وسائل نقل العواطف والمشاعر ، ومادامت هذه المشاعر والعواطف مختلفـة أشد الاختـلاف متنوعة أكثر ألوان التنوع من أديب لآخر لثالث الى غير ما لا يمكن حصره من الآدباء،فان من الطبيعى أن تكون وسائل التعبير عن هذه المشاعر والعواطف مختلفة متعددة باختلاف الأدباء وتعددهم ٠

والأديب الأصيل هو ما يتميز خياله بطابع خاص به كأن ينتزع صوره من عوالم خيالية يرسم هو أبعادها ويختار لها ألوانها ، أو يلجأ الى وسيلة من وسائل التعبير عن المشاعر هى من صنعه وابتكاره ، أو من تنسيقه وترتيبه وتقـديمه وتأخيره ، هـذا الأديب أديب متعمق الشـعور من ناحية قوى الفطنة من ناحية ثانية ، واسـع التأمل من ناحية ثالثة ، خصيب الاطلاع من ناحية رابعة ٠٠٠ وهكذا ٠٠٠

ولن يتساوى أديب هذا طابعه التخيلى مع أديب آخر يختلف عنه في شىء مما ذكرنـا ، ومعنى ذلك أن النـاقد وهو يتعرف على الطابع التخيلى لأديب من الأدباء، يجد نفسه ـ اذا كان الأديب أصيلا في أدبه ـ أمام طابع تخيلى يتفرد به صاحبه ، وهكذا كلما درس أديبا وجد له هذا الطابع التخيلى الذى يميزه عن غيره من الأدباء ٠

وبهذه السمات التى تميز الطـابع الشعورى والطابع اللفظى والطابع التخيلى يمكن أن نجد لكل أديب ذى أصالة طابعا خاصا يتفرد به بين الأدباء ويعرف به بين النقاد ٠

وأما قدرة الأديب على أن ينظر الى الكون والحيـاة نظرة عامة شاملة يتجاوز بها الجزئيات الصغيرة المحلية والآنية فينفذ من خلالها الى الكليات الكونية الضاربة في التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله ـ كما أوضحنا ونحن نتحدث عن الأمر الثانى من الأمور الثـلاثة التى نتعرف من خلالها على القيم الشعورية ـ أما هذه القدرة فهى من أبرز ما يضع يد الناقد على معالم القيم الشعورية عند أديب من الأدباء ٠

هذه القدرة على تجاوز الجزئيات الى الكليات والمحدود الى غير المحدود تدل على مدى عمق الأديب وشمول نظرته الى الكون والحياة والأحياء ، وفي هـذا المجال يتفاوت الأدبـاء كذلك الى أبعد حـدود التفاوت ، ويتأثرون في هذه القـدرة بمؤثرات عديدة نشير هنـا الى بعضها فنقول :

ان مما يجعل الأديب قادرا على تجاوز النظرة الضيقة المحدودة الى النظرة الشـاملة العميقة أن يكون ذا اطلاع واسع وثقـافة خصبة ومعرفة كبيرة بالكون والأحياء والناس والأشياء ، ويختلف الأدبـاء في هذا من عصر الى عصر ومن مكان الى مكان ومن مستوى حضـارى الى مستوى آخر ٠

والأدب الباقى على الأيـام هو ذاك الأدب الـذى استطـاع أن ينظر الى الـكون والحياة نظرة شاملة عميقة ، وهو في الأدب العربى كثير ، وبخاصة بعد أن أنعم الله على البشرية بدين الاسلام ، فعرفت عن طريق هذا الدين تلك النظرة الشاملة العميقة للحياة والأحياء ، وهذا التصور الدقيق الواعى لكل ما في الحياة من ناس وأشياء ، فليس في ديننـا الناس بعد ظهور الاسلام من قضية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، فكرية أو ثقافية الا وقد نظر اليهـا تلك النظرة المحيطة الشاملة ، أو نضع لمن ينظر اليهـا القواعد والأصول التى تمكنه من أن ينظر اليها هذه النظرة ٠

واذا كان في الأدب العربى نمـاذج أدبيـة استطاعت أن تعبر الينا العصور والأجيال فتمتد من العصر الجاهلى الى الآن ، فان معنى

ذلك أن هؤلاء الأدبـاء قد استطاعوا في نماذجهم الأدبية أن يتجاوزا الجزئيات الى الكليات وأن ينظروا الى الكون والحيـاة نظرة تخاطب الانسان في مختلف العصور التى يعيش فيها ٠

أما عندما أنـار الاسلام بصائر الناس وعلمهم كيف ينظرون للكون والحياة فقد كثرت أمامنا النماذج الأدبية التى تجاوزت بقدرة وجـدارة جزئيـات الحياة والمشكلات الآتية والمحلية الى الكليات الانسانية والمسائل التى تعنى الناس في كل زمان ومكان ٠

والأديب الأصيل يستطيع أن يسهم في توجيه الحياة والأحيـاء عن طريق قدرته على النظرة العامة المتعمقة التى ترسم خططا ناجحة ولأحيـاء يدينون بالحق والخير ويتعايشون من أجـل الحق والخير ، وهو بهذا يسهم حقا في الترشيد والتقويم ٠

وفي مجال التعرف على القيم الشعورية لابد من توضيح الصدق الفنى عند الأديب ، أى صدق تأثره بموضوع التجربة التى يخوضها وصدق تأثيره فينا بمدى ايمانه بما يكتب عنه ومدى صدقه في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، وذاك هو الأمر الثالث الذى ذكرناه ونحن نحاول رصد الأمور التى توضح القيم الشعورية في اثر الأدبى ٠

فماذا نقصد بالصدق الفنى على وجه الاجمال ؟ نقصد به صدق الاحساس وصدق الاتصـال بالموقف وصدق التعبير عنه ، بمعنى أن تزييف شيء من ذلك يقضى على الصدق الفنى عند الأديب ٠

ونقصد بالصدق الفنى على وجه التفصيل أمرين :

أولهما : صدق التأثر بالموقف ٠

وثانيهما : صدق التأثير به في الناس ٠

فكيف يصدق الأديب في تأثره بالموقف الذى يمر به ؟ لابد له أن يعايش هذا الموقف بحسه وشعوره ، وأن يتعمقه ويطيل التأمل فيه ،

وأن يعانيـــه بشكل مباشر أو غير مباشر ، وأن يبحث له عن أحسن الوسائل التى يخرجه بهـــا الى حيز الوجود الأدبى من تصوير تخيل يعتمد على حسن اختيار الصور والدقـــة الواعية في تأليف الخيـــال واخراجه الى عالم المحسوسات مرئيات أو مسموعات أو غيرها ، وكثيرا ما يدخل في صدق تأثر الأديب بالموقف أن يختـــار له من الكلمـــات والجمل والعبارات ما يراه أقدر على ابرازه عندما يرتبه بنسق خاص تتصاعد فيه الرؤى حتى تصـــل الى المـــدى الذى يريده الأديب ، أو تتدنى حتى تصل الى المدى الذى يريده كذلك ٠

وقد يلجأ تجاوبا مع صـــدق تأثره بالموقف الى أنواع معينة من الجمل يؤثرها على سواها ، فربما لجأ الى الجمل الاخبارية المتلاصقة، وربما أعانته على ذلك الجمل الانشائية طلبية أو غير طلبية ، وربما راوح بين هذه وتلك ، كل ذلك طمعا في أن يختار من العبارات ما يراه أقدر على تصوير صدق تأثره بالموقف ٠

ولن يعين الأديب في هذا المجال شيء مثل ما يعنيه سعة الثقافة وتعدد روافد المعرفة ، مع تعمق الموقف واستجلاء أبعاده كلها ، كل ذلك مع المشاعر القوية والأحاسيس المرهفة ، والصدق مع النفس في التعبير عن هذه الأحاسيس ، لأن أسوأ ما يسيء الى الأدب والأديب أن يزيف الأديب مشـــاعره فيعبر عما لا يحس به استجابة لأى داعية من الدواعى التى تخدع بعض الأدباء فيلجئون الى الحديث عما لا يحسون بـــه بصـــدق ٠

وكيف يكون الأديب صادقا في التأثير في السامعين والقراء ؟

لن يستطيع الأديب ذلك الا ان كان صـــادق التـــأثر أولا ، ثم يعينه على الوصول الى ذلك أمور عـــديدة من أهمها : أن يكون قادرا ـ لمـــا فيه من الاستعداد والمواهب ـ على اثارة شعور القراء والسامعين من وراء عرض تجربته ، وذلك انما يكون بالوسائل الفنية في الصور، وبالقدرة الفنية على الصياغة ، كما لابـــد أن تختمر الأفكـــار التى يؤلفهـــا حول موضوعـــه باطالة التأمل فيها وادامة التعمق في تجربته كامـــلة ٠

أى أن الأديب القادر على التأثير لابد له الى جانب الاحساس والذوق الفنى من الصبر على بذل الجهد الفنى أى مراوضة المعانى وصياغة الصور التى تحسن الوصول الى القراء والسامعين وتجيد أن تكون صلة بين الأديب وقرائه ـ أى تراسل الحواس بينه وبينهم ـ وهذا الاحساس والذوق الفنى عند الأديب هو الطريق الى بث الأفكار في صور أدبية مع ألوان من التناغم والتلاؤم ، بحيث توحى هذه الصور بالأفكار والمشاعر التى يريدها ، دون أن تدل عليها دلالة مباشرة ، اذ أن ذلك من أبرز ما يميز الأدب بعامة وهو الذى يحقق للقارىء أو السامع متعة ذهنية ومتعة نفسية في وقت واحد ٠

والقدرة الايحائية في العمل الأدبى تتمثل في التعبير عن التجربة ودقائقها ، على تسمية ما تولده في النفس من عواطف ، لأن هذه التسمية قد لا تكون لها قيمة في مجال اختبار التأثر بالنص الأدبى أو اختبار تأثير الأديب في السامعين ٠

وطالما أن الأديب يعتمد في أصالته وقدرته على شعوره بنفسه وبما حوله شعورا يتجاوب هو معه أولا ، ثم يندفع به الى الكشف عن خبايا النفس الانسانية أو الكون مستجيبا في ذلك لهذا الشعور في لغة ايحائية غير مباشرة طالما أن الأديب كذلك ، فان السامع أو القارىء يجد نفسه أمام عمل أدبى أصيل يقنعه بموضوع التجربة أولا ، ثم يمتعه ذهنيا ونفسيا نتيجة لهذا الجهد الفنى الذى بذله الأديب في أدبه ٠

وبعد : فاذا تعرفنا من خلال نقد نص أدبى على الطابع الخاص الذى يميز صاحب النص من النواحى الشعورية واللفظية والتخلية ، ثم تعرفنا على مدى قدرة الأديب على تجاوز الجزئيات الى كليات الكون والحياة ، ثم تعرفنا على الصدق الفنى في عمله الأدبى صدق التأثر بالموقف وصدق التأثير في السامع والقارىء ، اذا تعرفنا على ذلك نكون قد وقفنا على القيم الشعورية في النص وتعرفنا على أبعادها وأعماقها٠

ويبقى علينا لكى تتم دراسة النص الأدبى ونقده أن نتعرف على القيم التعبيرية فيه، وهى الخطوة الأخيرة من خطوات المنهج الفنى، أو الخطوة الرابعة في عرضنا لهذا المنهج ٠

رابعا :

أن يوضح الناقد القيم التعبيرية في النص ٠

للقيم التعبيرية في الأدب أهمية كبيرة تنبع من أنها سمة للأدب يتفرد بها عن العلم ، لأن الحقيقة العلمية نستطيع أن نعبر عنها في صور متعددة دون أن يؤثر ذلك على دلالتها في قليل أو كثير ، اذ الهدف هو تأدية هذه الحقيقة العلمية فحسب ٠

أما في الأدب فالأمر جد مختلف ، لأن الحقيقة الشعورية لا نستطيع أن نعبر عنها في صورتها المؤثرة الموحية الا اذا كانت الألفاظ والتعبيرات قادرة على بث هذا التأثر وذاك الايحاء ٠

ومن أجل ذلك كان من الضرورى ـ عند التعبير عن الحقيقة الشعورية ـ أن تختار الألفاظ ، وأن تنظم وتنسق العبارات ، وأن تختار بدقة طريقة السير في الموضوع وتنميته شيئا وراء شىء ، وأن تكون هذه الألفاظ قد روعى فيها عدم الاكتفاء بمجرد دلالتها الذهنية وانما تضاف اليها مؤثرات أخرى كالصور والظلال والايقاع الموسيقى للكلمات ٠

كل هذه الاعتبارات تجعل من التعبيرات في العمل الأدبى شيئا له وزنه وأهميته وفعاليته ، وكل تلك العناصر التى أشرنا اليها في التعبيرات يجب أن تبدو في وحدة متكاملة لا ننظر فيها الى أى عنصر منها على حدة ، بل ان الصور والظلال والايحاءات والايقاع الموسيقى وان كانت قيما تعبيرية الا أننا لا نستطيع أن نتصورها بمعزل عن الشعور والقيم الشعورية ، ومعنى ذلك أن القيم التعبيرية والقيم الشعورية متلازمان في العمل الأدبى ، ما ينازع في ذلك أحد من النقاد٠

والقيم التعبيرية في صورة مجمـــلة : ألفاظ ودلالات لهـــذه الألفاظ ، وتراكيب وعلوم وفنون تحكم هـذه التراكيب ، وايقـاع موسيقى للالفـاظ والتراكيب ، وصـــور وظـلال تشعها الألفـاظ والتراكيب زيادة على المعنى ، وأخيرا طريقة في تناول الموضوع والسير فيه أى الأسلوب الذى يلجأ اليه الأديب ، كل ذلك هو القيم التعبيرية في صورة مجمـلة ٠

أما تفصيل عناصر هذه الصورة المجملة فنشير اليها على النحو التـــالى :

الألفـاظ ودلالاتهـــا :

للألفاظ نوعان من الدلالة ، دلالة على المعنى الذهنى ودلالة على الصور والظلال المصاحبة للمعنى ٠

وفي مجال الأدب نحن نبحث عن دلالة اللفظ على الصورة والظل المصاحب للمعنى أكثر مما نبحث عن دلالته على المعنى الذهنى له ٠

اذ المعنى الذهنى للفظ ثابت لا يتغير ، بينما المعنى الشعورى له هو الذى يتغير باستمرار ، يتغير باعتبار الزمان ويتغير باعتبـار المكان ويتغير باعتبار الأشخاص ، ويتغير باعتبارات عديدة أخرى قد لا تتناهى ، ومن هنا كان لابد في مجال الأدب من رصد هذه المتغيرات وهذه التغيرات ٠

ومن هنا كذلك تختلف دلالة الألفـاظ على الصـور والظـلال المصاحبة للمعنى ـ الدلالة الشعورية ـ من أديب الى آخر ، ومن بيئة الى أخرى ، كما تختلف باختلاف مدى تجاوب الأديب مع هذه المتغيرات، ومدى انفعاله بالمواقف والمشاهدات ٠

كل ذلك يؤدى الى أن يجد الناقد بين يديه وهو ينظر الى دلالة الألفاظ في النص الأدبى عالمـا واسعا مترامى الأطراف من المشاعر

والانفعالات التى ترد على ذهنه وحسه كلما استعرض الألفاظ في نص من النصوص الأدبية ٠

ذلك أن الأدب الأصيل والأديب الأصيل كـذلك ، تتبين فيهما هذه الأصـالة بمقدار ما يهيأ للألفاظ من نظام خاص وتنسيق معين ونسق يسمح لهذه الألفاظ بأن توحى وتشع وتحدث ايقاعا في نفس السامع أو القارىء ، وعندما يقف الأديب عند الدلالة الذهنية للفظ على معناه دون أن يكون للدلالة الشعورية في عمـله نصيب ، عندئذ لا يكون منتجا لأدب بمقدار ما يعد منتجا لعلم وراغبا في الكشف عن حقائقه ، والأدب يستهدف بالدرجـة الأولى أن يحقق لقـارئه متعة ذهنية نفسية معا وأن يثير من مشاعره وعواطفه ما يجعـله مقتنعـا بمضمون النص الأدبى متجاوبا مع ما يدعو اليه من قيم ومثل ٠

غير أننا لا نريد في مجال النقد أن نهمل دلالة اللفظ الذهنية على معناه وانما نحب أن نجعلها في المقـام الثانى أو الثالث على حين نجعل دلالة الألفاظ الشعورية على معناها في المقام الأول ٠

أمـا التراكيب أو العبـارات ، فهى في حقيقتهـا مجموعة من الألفاظ التى نسقها الأديب على نحو معين لتؤدى معناها الذهنى ومعناها الشعورى ، على هذا النسق ومن هنـا فان كل ما شرطناه في الألفاظ من صفات نشترطه في التركيب أو العبارة ٠

والتركيب أو العبارة يستمد دلالته الشعورية في الأدب الأصيل من أمور عديدة منها :

دلالات الألفاظ اللغـوية ، والدلالة المعنوية الناشئة من حسن اختيار الأديب للألفاظ وبالتنسيق بينها في نسق خاص ، ومن الايقاع الموسيقى الناشىء من ايقاعات الألفـاظ ، ثم من الصور والايحاءات التى تشعها الألفاظ في التعبير كله ٠

ومن الواضح أن التركيب أو العبارة هو القادر حقا ــ وليس اللفظ المفرد ــ على التعبير عن التجربة الشعورية ، لأن اللفظ لا يغنى

في هذا المجال ولا يستطيع أن يظهر انفعال الأديب بالتجربة ولا نوع احساسه بها ، وانما يكون ذلك للتركيب أو العبارة كاملة ، فهو الذى يكشف عن طبيعة الشعور وعن نوعه ٠

واذن فان المفردات والتركيب جزء وكل لا يقوم الثانى منهما الا بالأول ولكى نحصل على المفردات والتركيب في الصورة المثلى للأدب لابد أن ننظر الى كل منهما نظرة خاصة في مجاله الذاتى ٠

ففى مجال اللفظ المفرد لابد أن يتصف كل لفظ على حدة ـ بالاضافة الى ما ذكرنا ـ بالصفات التالية :

ـ الدقة : بمعنى أن يكون دقيقا في الدلالة على معناه الشعورى المعبر عن الموقف ٠

ـ القدرة على الايحاء : بمعنى أن يكون اللفظ قادرا على اثارة المشاعر وتحريك الأفكار نحو الهدف الذى يحاول الأديب أن يصل اليه ٠

ـ السهولة : بمعنى ألا تتنافر حروف اللفظ فتثقل على اللسان أو أن يمجها السمع ٠

ـ الألفة : بمعنى أن يكون اللفظ غير غريب المعنى ولا خافيه ، ولا بعيدا عن متناول القارىء أو السامع ٠

ـ الطرافة : بمعنى أن لا يكون اللفظ مبتذلا سوقيا ، ولا غليظا جافيا لأن الابتذال والغلظ كلاهما ينفيان عن اللفظ طرافته ٠

ـ الشاعرية : بمعنى أن يكون اللفظ خاليا من أى عيب في لفظه وليس معناه أن كلمات اللغة نوعان شاعرى وغير شاعرى ٠

ـ الاستعمال : بمعنى أن يكون اللفظ مما نطقه العرب واستعملوه ، لأن الاجتهاد في استعمال الألفاظ غير وارد ولا مقبول ٠

ـ الافادة : بمعنى أن يكون اللفظ له فائدته التى أضافها والتى تعد جديدة ، ومنمية للمعنى أو دالة عليه دلالة عميقة ٠

ـ الرقة : بمعنى أن يختار اللفظ ليدل على معناه من جانب وليتلاءم مع سائر الألفاظ المستعملة في التعبير من جانب آخر ، وهذا شيء غير عدم تنافر الكلمات ، لأن المنظور اليه هنا هو اللفظ المفرد ، وليس الألفاظ مجتمعة ٠

ـ عدم التكرار : بمعنى أن الأصل في اللفظ ألا يكرر الا لسبب مقبول يسوغ من أجله التكرار ، بحيث يعطى اضافة الى المعنى ٠

ـ عدم الاكثار من استعمال المصطلحات : بمعنى أن يكون الالتجاء الى ألفاظ مقتبسة من مصطلحات العلوم والفنون أمرا ليس مبالغا فيه ٠

وفي مجال التركيب لابد أن يخضع كل تركيب لمعايير متعددة حددها العلماء وجعلوا منها قواعد وأصولا يلتزم بها الذين يعبرون، ومن أبرز هذه المعايير :

ـ معيار علم النحو وقواعده وأصوله ٠

ـ معيار علم الصرف ٠

ـ معيار علوم اللغة بعامة ٠

ـ معيار علم المعانى ٠

ـ معيار علم البيان ٠

ـ معيار علم البديع ٠

وربما كان تفصيل الحديث عن هذه العلوم وقواعدها ومعاييرها غير مطلوب في هذا المجال الذى نتحدث فيه ، اذ لكل علم أو فن من هذه العلوم والفنون دراساته ومؤلفاته ٠

غير أن الذى يبحث عنه الناقد في مجال التركيب أو العبارة هو أن يكون التركيب موافقا لهذه القواعد والأصول التى قررتهـا هذه العـلوم والفنون من جانب ، ثم يبحث عما توفر لهـذا التركيب من سمات الذوق الفنى وسمات القدرة على التعبير عن الشعور ، وقدرة هذا التركيب على أن يكون ملائما للموضوع ٠

هذا عن الألفاظ والتركيب ٠

أما الايقاع الموسيقى للألفاظ والتراكيب ، فنحن ننظر اليـه بعد أن يكون اللفظ أو التركيب قد استوفي كل الصفات التى تحدثنا عنها ونحن نتحدث آنفا عن اللفظ والتركيب ٠

وعلى الرغم من أن اللفظ أو التركيب يكون مستوفيا لكل تلك الصفات فانه أحيانا لا يكون لـه الوقع الموسيقى المؤثر في النفس ، فيفقد صفة هامة من صفات التركيب الأدبى الأصيل ٠

وللأصلاء من الأدباء قدرة على ترتيب الألفاظ والتنسيق بينها في تراكيب ملائمة بحيث تعطى ايقاعا موسيقيا يخف على الأذن ويحلو في النفس ويسهم حقا في تحقيق المتعة النفسية للقارىء ٠

وتكاد اللغة العربية تتميز ـ من بين سائر اللغات ـ بأنها لغة غنية بالايقاع فالكلمات في العربية اذا أحسن الأديب ترتيبها ورصفها ووضع بعضـها الى جوار ما يلائمـه من بعضها ، تعطى من الايقـاع الموسيقى للتعبير ما لا تعطيه لغات أخرى كثيرة غير العربية ٠

واذا نسقت العبارات فأعطت هذا الايقاع ، انتقل هذا الايقاع من الأذن الى النفس الى الحس والمشاعر ، فاذا القـارىء لهذا الأدب

يحس بهذا الايقـــاع والتناسق في فكره ومشاعره ، أى يحس بمتعـــة ذهنية نفسية لهذا الأدب الذى يقرأ ٠

وفرق ما بين الأديب الأصيل والرجل المعبر من عامة الناس ، أن ينتقى كلماته ويحس اختيارها ويجيد نظمها والتنسيق بينها بحيث تعطى هذا الايقاع وذاك التناغم ، أما المعبر من سائر الناس فربمـــا استعمل نفس كلمات الأديب ولكنه لا يحس اختيارها ولا يجيد نظمها والتنسيق بينها ، فلا تعطى أكثر من الدلالة الذهنية على معناها ٠

ويخطىء من يظن أن الايقاع في اللغة العربية وقف على الشعر دون النثر ويمعن في الخطأ من يتصـــور أن الايقـــاع في الشعر مرده الوزن القافية فحسب ٠

اذا الحق أن في النثر موسيقى وايقاعا ، وأن السجع وغيره من أنماط المحسنات البديعية ، بل ونفس الكلمات عندما يحسن الأديب اختيارها ويجيد تنسيقها تضفى على النثر ايقاعا وموسيقى رائعة ، تمتزج بحس القارىء وتمتع أحاسيسه ٠

والأمر في الشعر كذلك ، فان أولئك الشعراء الذين يعتمدون في الايقـــاع والموسيقى في شعرهم على الوزن والقافية فحسب هـــم النظامون من الشعراء أو هم غير الأصلاء منهم ، أما أصلاء الشعراء فنحن نعرف من تاريخهم أن الواحد منهم كان ينفق الأيام والليـــالى ينتقى ألفاظه ويضع هذه موضع تلك ، ويقـــدم هذه ويؤخر تلك ، وربما أمضى على هذا النحو الأسابيع والشهور ينقح وينمق وينسق، حتى تخرج الصياغة الشعرية في أتم صورة لها وأغناها بهذا الايقاع، ولو لم يكن همه ذلك لأغناه الوزن وأعانته القافية ، ووجد فيهما غناء أى غناء ، لكنه يدرك أنه لن يبلغ بأدبه وشعره منزلة التأثير في سامعيه وقرائه الا بأن يصقل الكلمات وينسقها ويرتبها ويحشد لهـــا من وسائل الايقاع ما هو أعمق من الوزن والقافية ٠

ولابد للناقد أن ينظر الى الايقاع وأن يعتبره واحدا من أهم عناصر القيم التعبيرية ٠

وأما الصور والظلال التى تشعها الألفاظ والتراكيب زيادة على المعنى ، فانها تلتمس في الأدب ولا توجد في العلم ، ذلك أن الألفاظ والتراكيب التى يستخدمها الأدباء لها قدرة على التصوير ، وعلى اعطاء التعبيرات ظلالا أكثر مما يدل عليه المعنى ٠

واذا كان الأدب قادرا على أن يبعث في نفوس القراء والسامعين انفعالات صادقة قوية سامية ، فان سر ذلك كامن في أن الأدب يجعل بعث العاطفة في السامعين هو غايته الأولى ، وأن وسيلة التعبير عن العواطف هى الخيال ، والأديب الأصيل هو الذى يرى الأشياء ويدرك ما فيها من أسباب الروعة أو الحب أو الكره أو السخط أو الرضى ، ثم يعرضها على القراء والسامعين كأنها حقيقة ملموسة ، مفسرة مصورة في صور سمعية أو بصرية أو في صور مؤلفة ربما لم يسبق لها وجود الا في خيال الأديب ، فيكون عندئذ خيالا ابتكاريا رائعا ٠

وأصلاء الأدباء قادرون على ابتكار كثير من الصور الخيالية لكثرة ما تقع عليه حواسهم من مشاهدات وكثرة ما يمرون به من تجارب ٠

والخيال ـ كما يرى النقاد ـ من أنفع المواهب لدى الأديب لأنه وسيلته في تصوير العاطفة التى هى أهم عناصر الأدب ٠

ولابد أن يلحظ الناقد وهو يحلل نصا أدبيا أن معيار جودة الخيال والتصوير أمور أهمها : قوة التشابه بين المشاهد الخارجية وما توحى به من انفعالات وما تبعثه من عواطف ٠ ثم قوة الابتكار في الشخصيات المبتكرة ، ثم جمال تصوير الطبيعة والتأمل في محاسنها وأسرارها ، ثم الجدة في الصورة الأدبية بحيث لا تكون مبتذلة ولا تقليدية ، ثم القدرة على ابراز المعانى بحيث تتراءى كأنها محسة أو مجسمة ٠

وجماع ذلك كله لدى الناقد البصير أن يكون الخيال قادرا على التعبير من العاطفة في صدق وفي قوة وفي جمال ٠

ولابد أن نشير هنا ـ في سرعة ـ الى أن الصورة لغة وخيال اذا كانت المادة الأدبية هى فكر وعاطفة ، وأن هذه الصورة هى الوسيلة لنقل هذه المادة ، وعندما تعجز الصورة عن نقل هذه المادة الى القارىء أو السامع ، فانها تتوقف عن الاشعاع في نفس القارىء بما وراء المعنى وما يوحى به اللفظ ، وان ذلك لدليل على قصور عند الأديب ، قصور في اللغة التى يستعملها أو في الخيال الذى يختاره ، هذا اذا افترضنا أنه قد أحسن اختيار الفكرة وقوى عنده باعث العاطفة ٠

وهذه الاشعاعات أو الظلال التى تضفيها الصور على المعنى من شأنها أن تترك في القراء تأثيرات مختلفا من قارىء الى ثان الى ثالث الى مالا نهاية له من القراء ، لكنها تظل عند جميع القراء قادرة على الدلالة على ما هو أكثر من المعنى ، وعلى ما هو وراء الألفاظ والتراكيب ٠

ومن هنا تصبح مهمة الناقد دقيقة متعددة الجوانب شاملة النظرة بعيدة الغور فيما تنظر اليه وما تعلله أو تحلله أو تفسره ليجىء بعد ذلك النقد وقد بنى على علم ومعرفة ودراية ٠

وأما طريقة الأديب في تناول الموضوع والسير فيه ، فالمقصود بها معنى من معانى الصورة هو الأسلوب الذى لجأ اليه الاديب لعرض تجربته وللصورة بهذا المعنى شرط جوهرى يضم مجمل خواصها هو « الوحدة » وسواء أكان الأثر الأدبى مقالة أو قصيدة أو قصة أو غيرها فلابد فيه من هذه الوحدة ، وحدة الموضوع ووحدة الفكرة مهما تعددت العناصر الثانوية في العمل الأدبى ، وربما كان ذلك بعيدا عن دائرة القيم التعبيرية التى نتحدث عنها ، ولكن من الضرورى أن ننبه اليه ٠

وأسلوب الأديب في عرض تجربته يستلزم ـ لبلوغ الهدف ـ أن يستوعب أبعاد الموضوع في عباراته ، كما يستلزم أن يخضع

نفسه لمنهج في عرض موضوعه ، ويستلزم كذلك عنصرين هامين هما القوة في التعبير ، والجمال في العرض أى أن الأديب الأصيل وهو يبحث عن وسيلته اللغوية للتعبير عن فكره وعواطفه لابد أن يختار من العبارات أقواها من جانب وأدقها وأجملها من جانب آخر ، وكل ذلك يجب أن يكون في وضوح لا خفاء فيه ولا تعقيد ٠

وأسلوب الأديب في عرض تجربته هو المرآة التى تعكس شخصية الأديب وتفصح عن فكره واعتقاده ، ومشاعره وأخلاقه ، وميوله واتجاهاته ، وهو الذى يميز أديبا عن آخر في هذه النواحى ، ومعنى ذلك أن شخصية الأديب هى التى تطبع أسلوبه وعباراته بطابعها ٠

وعلى فرض أن الألفاظ والتعبيرات قد توفر لها ما ذكرنا من الخصائص التى تزيدها قدرة على أن يكون لها ايقاع موسيقى ، وعلى أن يكون لها من الظلال والايحاء ما هو أكثر من المعنى ، فانه يبقى بعد أسلوب الأديب في عرض تجربته وطريقته في تناول موضوعه ، ليدل على فروق حادة بين أديب وأديب ٠

وعلى سبيل المثال فان قضية من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية أو الأدبية أو غيرها يتناولها أديب بطريقته الخاصة ويرسم لها من خلال أسلوبه تصورا يشخصها ويحدد أسلوب علاجها ، ان هذه القضية بعينها اذ تناولها أديب آخر ، فان طريقة تناوله لها وسيره في عرضها سوف تختلف كثيرا عما صنعه الأديب الأول ٠٠٠ وهكذا ٠

وعلينا ـ في مجال النقد ـ أن نتعرف من خلال القيم التعبيرية للنص على طريقة الأديب في تناول موضوعه ، وأن ندخل ذلك في حسباننا ونحن نصدر حكما أدبيا على أديب من الأدباء ٠

وبعد : فان المنهج الفنى في تحليل النص الأدبى الذى تحدثنا عنه هو أقرب المناهج الى طبيعة الأدب العربى ، بل أقربها الى نفوس

نقادنا ، اذ هو المنهج الذى سار عليه الأقدمون من شيوخ النقد في الأدب العربى من أمثال : ابن سلام الجمحى في كتابه : « طبقات الشعراء » ، وابن قتيبة في كتابه : « الشعر والشعراء » ، وقدامة ابن جعفر في كتاب : « نقد الشعر » .

ثم نما المنهج الفنى وتعمقت أبعاده على أيدى أعلام النقد اللاحقين لهؤلاء من أمثال : الحسن بن بشر الآمدى في كتابه : « الموازنة بين الطائيين أبى تمام والبحترى » ، وأبى الحسن الجرجانى في كتابه : « الوساطة بين المتنبى وخصومه » حيث توسع الرجلان في خطوات المنهج الفنى أكثر ممن سبقوهما من النقاد ومن أمثال : أبى هلال العسكرى في كتابه : « كتاب الصناعتين » وعبد القاهر الجرجانى في كتابيه : « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » وابن رشيق القيروانى في كتابه « العمدة » .

والمنهج الفنى من بين مناهج النقد الأدبى هو المنهج الغالب .

- المنهج التاريخي.

٣ـ المنهـــج التـــاريخى

في مستهل الحديث عن المنهج التاريخى أحب أن أنبـه الى أن سائر المناهج في نقد النص أى المنهج النفسى والمتكامل لا تستغنى عن الأخذ بخطوات المنهج الفنى ، فما من نقد أو تحليل أو تفسير لعمل أدبى الا ويعتمد على الركيزتين الكبيرتين في المنهج الفنى وهمـا : القيم الشعورية والقيم التعبيرية ، لذلك كان المنهج الفنى أهم من سـواه في مجـال النقـد ٠

بل ان التذوق واصدار الحكم اللذين هما من أبرز خصائص المنهج الفنى لا يستغنى عنهما منهج من المناهج الأخرى ٠

والمنهج التاريخى في صورة مجملة يستهدف الأمور الآتية :

ـ التعرف على مدى تأثر النص الأدبى بالبيئة التى نبع منها وعلى مدى تأثيره في هذه البيئة ٠

ـ التعرف على تأثر الأديب بالوسط الذى عاش فيه وعلى مـدى تأثيره في هذا الوسط ٠

ـ التعرف على الأطوار التى مر بها فن من فنون الأدب ٠

ـ التعرف عـلى الآراء التى قيلت في نص أدبى أو في أديب من الأدباء ، للموازنة بين هذه الآراء ، والتعرف من خلال ذلك على خصائص عصر من العصور في مجالات التيارات السائدة فيه ٠

ـ التعرف على خصائص الأدب في أمة من الأمم ، لمعرفة الظروف التى أحاطت بهـا ٠

ـ التأكد من صحة النص ومن صـحة نسبته الى قائله ، ومعرفة الأطوار التى مر بها النص الأدبى من يوم كان مسـودة بقـلم صاحبه الى أن تعددت طبعاته مع معرفة التعديلات التى طرأت عليه في هذه الأطوار ٠

تلك صورة مجملة لأهداف المنهج التاريخى الذى يأخذ مع كل هـذا بخطوات المنهج الفنى ولا يستغنى عنها أو عن كثير منها بحـال من الأحـوال ٠

أما تفصيل الحديث عن المنهج التاريخى فيتطلب منا أن نتحدث فيه ـ على نحو ما صنعنا في المنهج الفنى ـ في النقاط التالية :

أولا :

التعرف على النص ٠

وهذا التعرف يتناول النقاط التالية :

١ ـ التأكد من صحة نسبة النص الى قائله ٠

٢ ـ التعرف على النص في صورته الكاملة دون تغيير أو تشويه أو نقص ٠

٣ ـ معرفة تاريخ النص ، تاريخ تأليفه ، وتاريخ التعـديلات التى أدخلت عليـه منذ أن كان مسـودة حتى آخر طبعـة من طبعـاته ٠

٤ ـ التعرف عـلى المعنى الحـرفي للنص ، وعـلى المعنى الأدبى للنص ٠ أى تحديد القيم اللفظية للنص والقيم الفـكرية والعاطفية فيه ٠

٥ ـ التعرف على حياة صـاحب النص وبيئته ، ومدى نجـاحه وتأثيره وتأثره بهذه البيئة ٠

ثانيـا :

التعرف على الأديب ٠

وذلك يتناول النقاط التالية :

١ ـ التعرف على انتاج الأديب بصورة عامة ٠

٢ ـ الجمع بين النصوص المتشابهة في الموضوع للأديب ٠

٣ ـ التعرف على الفنون المتعددة التى أنتج فيها الأديب ٠

٤ ـ التعرف على التيارات الفكرية والخلقية التى تميز هذا الأديب عن غيره من الأدباء ٠

٥ ـ التعرف على الوسط الذى عاش فيه الأديب وعلى مدى تأثره به وتأثيره فيه ٠

ثالثا :

التعرف على الآراء التى قيلت في العمل الأدبى وفي الأديب نفسه ٠

وذلك يتناول النقاط التالية :

١ ـ جمع الآراء النقدية التى أبديت في العمل الأدبى وفي الأديب والنظر فيها بدقة ٠

٢ ـ الموازنة بين هذه الآراء لمعرفة صورة دقيقة عن أثر هذا العمل الأدبى في النقاد وغيرهم ممن أبدوا حوله ملاحظات ٠

٣ ـ اتخاذ هذه الآراء وسيلة للاستدلال بها على نوع الفكر السائد في ذلك العصر الذى قيل فيه هذا الانتاج الأدبى ، لذاك الأديب ٠

٤ ـ اتخاذ هذه الآراء وسيلة للتعرف على خصائص الوسط الذى عاش فيه الأديب والجيل الذى عايشه ، بل والأمة التى ينتمى اليها ٠

٥ ـ اتخاذ هذه الآراء وسيلة للتعرف على خصائص الفن الأدبى الذى أنتجه الأديب ٠

رابعـــا :

التعرف على الأطوار التاريخية التى مر بها فن من الفنون الأدبية ٠

وذلك يتناول النقاط التالية :

١ ـ جمع النصـــوص التى قيلت في هـــذا الفن الـــذى نريد أن نتعرف على أطواره التاريخية ، جمعها لأكبر عدد ممكن من الأدباء الذين كتبوا في هذا الفن ، وبالضرورة يكون هـــذا بعد التأكد من صحتها ومن صحة نسبتها الى قائليها ٠

٢ ـ ترتيب هذه النصوص ترتيبا تاريخيا ، مع محاولة التعرف على خصائصها في كل مرحلة أو طور ٠

٣ ـ جمع آراء النقاد فيها والاستهداء بهذه الآراء بعد العكوف على دراستها والتأنى في الخروج من هـــذه الدراســـة بآراء مثرية للعلم والأدب عموما، ولهذا الفن على وجه الخصوص ٠

٤ ـ التعرف من خلال هذه الدراسة على نوع العلاقة بين هـــذا الفن والحياة وذلك بالعناية بالاجتمـــاع ونظمه وآدابه ، اذ الاجتماع البشرى في كل عصر تنعكس صورته بصدق في الفنون الأدبيـــة ٠

٥ ـ التعرف على مـــدى تأثير هـــذا الفن من الأدب في الحيـــاة والمجتمع في هذا الفن من الفنون الأدبية ٠

ولابـــد أن نشـــير هنـــا الى بعض المخـــاطر التى تحيط بالمنهج التاريخى ، هذه المخاطر ٠٠ من أبرزها أمور ثلاثة ، هي في الحـــق مخاطر العمل العلمي في كل مجال من مجالاته وهي :

١ ـ الاستقراء الناقص :

بمعنى عدم الاحاطة بالظروف والملابسات ، وعدم التتبع الدقيق للنص الأدبي وصـــاحبه ، وذلك كالاعتمـــاد عـــلى الحوادث البـــارزة

والظواهر الفذة في حياة النص أو في حياة صاحبه ، وكالاعتماد على حادثة بعينها دون سواها ، فان ذلك من شأنه أن يوقع الدارس في خطأ اصدار أحكام غير صحيحة وغير دقيقة .

وان كان لابد من مثال للاستقراء الناقص فهو في كثير من كتب الأدب والنقد حين يصدر كاتب أو ناقد حكما على أدب عصر بأسره فالمقطوع به أنه لم يستوعب ظروف الأدب وملابساته في العصر كله اذ أن ذلك يحتاج الى جهود مئات العلماء في عدد غير قليل من السنين .

٢ ـ الأحكام القاطعة أو الجازمة :

بمعنى أن يجرؤ الكاتب أو الناقد على أن يصدر أحكامه في المسائل الأدبية بصورة قاطعة جازمة كأنها التحليل الأخير أو الرأى الذى لا يقبل جدلا ولا نقاشا ، لأن من المسلم به بين العلماء أن القطع والجزم وادعاء الاحاطة غير مقبول وغير صحيح .

والأفضل أن يصدر الكتاب والنقاد أحكامهم في اطار من الظن والترجيح ، حتى لا يغلق الباب في وجه الدارسين من جانب وحتى لا يضع نفسه بهذا القطع والجزم في حرج من أمره عندما تكتشف مستندات تاريخية تقلب حكمه رأسا على عقب .

وان كان لابد من مثال لتلك الأحكام القاطعة ـ وهى غير صحيحة ـ قول بعضهم :

عزلة الحجاز عن السياسة هي التي أدت الى شيوع الغزل فيه ، أو قولهم : اتساع نفوذ الفرس هو الذى أدى الى ايجاد شعر المجون والخمريات « أو قولهم : ان كثرة الجوارى كانت سببا في شيوع الغناء » الى غير ذلك من الأحكام التي تنهار عند قليل من التأمل والتعمق .

٣ ـ التعميم العـــلمي :

بمعنى أن يصدر الكاتب أو النـــاقد أحكاما تعميمية على نسق ما لجأ اليه علماء الأحياء في الحـديث عن حقـــائق الطبيعة على النحو الذى تبناه أصحاب مذهب النشوء والارتقاء ، فهم قد أصدروا هـــذه الأحكام التعميمية دون علم أو احاطة كاملين بحقيقـــة الخلية الحيـــة وخصـــــائصها ٠

وسحب هذا المذهب في التعميم من العـــلم الى الأدب خطـــأ فادح لاختلاف طبيعة الأدب عن طبيعة العلم من جانب ، ولما يوحي به التعميم من مجازفات ونظرات غائمة من جانب آخر ٠

٤ ـ المنهج المتكامل

وهو منهج ـ كما يفهم من اسمه ـ يقوم على الأخذ بسائر المناهج التى تحدثنا عنها آنفا ، يستعين بالمنهج الفنى الذى يقوم في الحقيقة على مناهج ثلاثة هى التأثرى والتقريرى والذوقى ـ الجمالى ـ ويستعين بالمنهج النفسى فيأخذ منه بهذه الملاحظات النفسية ومالها من دلالات مفيدة ٠

تلك صورة مجملة للمنهج المتكامل ٠

أما تفصيل الحديث في المنهج المتكامل ، فهو ما ذكرناه في المناهج الثلاثة السابقة : المنهج الفنى والمنهج التاريخى والمنهج النفسى ، ولا نجد داعيا لاعادته ٠

غير أنه من تمام صورة المنهج المتكامل أن نشير الى بعض خصائص يتميز بها عن كل منهج من تلك المناهج على حدة ، ومن أهم هذه الخصائص ما نذكره الآن :

أولا :

المنهج المتكامل لا ينظر الى الانتاج الأدبى على أنه افراز للبيئة العامة بالدرجة الأولى ولكنه افراز للأديب ، والأديب متأثر في الغالب الأعم ببيئته ، ويرتفع قدر الأديب كلما استطاع أن يعبر عن أشواق انسانية لا ترتبط ببيئته وحدها وانما ترتبط بالجنس البشرى كله، ولا يستطيع الأديب أن يصل الى هذا المستوى الا ان كان ذا حس بهذا الكون كله وذا اهتمام بكبريات المسائل التى تصل الانسان بالكون الكبير مثل الغيب والقدر والمثل والفضائل والرذائل ، وتلك مسائل لا تتعلق ببيئة بعينها ولا بزمان بعينه ولا بعوامل تاريخية معينة ٠

ثانيا :

المنهج المتكامل لا يتجاهل القيم الشعورية ولا القيم التعبيرية في الأثر الأدبى وانما يأخذها في اعتباره ، ويقيس جودة الاثر الادبى أو رداءته بمقاييسها ، وهى مقاييس فنية جيدة ٠

ثالثـــا :

المنهج المتكامل لا ينظر الى الانتاج الأدبى على أنه افراز لعوامل نفسية محددة البواعث معروفة العلل ، وانما ينظر اليه على أنه نتاج النفس البشرية بكـل ما أودعهـا الله من قـدرات وما هيأه لهـا من استعدادات النفس البشرية التى تعد من أكبر العوامل التى خلقهـا الله ومن أغنـــاها ٠

رابعـــا :

المنهج المتكامل وان كان تعامله الأساسى مع العمـل الأدبى في ذاته الا أنه لا يغفـل الجوانب الأخرى التى تسهم في العمـل الأدبى وتؤثر فيه دون شك ، مثل علاقة العمل الأدبى بنفسية صاحبه ، وأثر البيئة في صـاحب العمـل الأدبى ، فهو منهج يجمع في خطواته معظم ايجابيات المناهج التى تحدثنا عنها ، ويتجنب في خطواته أكثر سلبيات تلك المنـاهج ، ومن ثم كانت تسميته « والمنهـج المتكامـل » تسمية مناسبة حقـا(١) ٠

وما أحب أن أترك الحديث عن مناهج تحليل النص الأدبى دون أن أتحـدث عن منهج أدبى في تحليـل النص الأدبى ، وذلك لأمرين الأول منهما أن ننظر فيه ونفيد منه ، والثـانى أن نعلق على بعض ما جـــاء فيـــه ٠

---

(١) أفدت في الحديث عن المنهج النفسى والمنهج المتكامل من كتـاب : **النقـد الأدبى** أصوله ومناهجه للمرحوم الشهيد سيد قطب ٠

المراجع:

١ – البحث الأدبي " طبيعته – مناهجه – أصوله – مصادره " – د/ شوقي ضيف.

٢ – مناهج البحث العلمي – د/ عبد الرحمن بدوي.

٣ – منهج البحث الأدبي – د / علي جواد الطاهر.

٤ – منهج البحث في الأدب واللغة – لانسون ومابيه – نقله إلى العربية د/ محمد مندور، وهو ملحق لكتابه: النقد المنهجي عند العرب.

٥ – منهجية إعداد البحث العلمي – د / غازي عناية.

٦ – النصوص الأدبية – تحليلها ونقدها د / علي عبد الحليم محمود.